

من ولد لي هؤلاء

"التسلل" هو مصطلح يُعرف أكثر ما يُعرف في مجال كرة القدم ولكنه في الأصل مصطلح حربي حيث أنه يمثل أحد الإستراتيجيات والتكتيكات المرتبطة بالمعارك. ويُعرّف التسلل على أنه أحد أساليب المناورة داخل خطوط العدو حيث يكون القصد منه هو مفاجأة العدو بواسطة التحرك إلى مركزه في الخفاء من أجل القيام بعملية حاسمة أو الحصول على معلومات.

من أشهر من إستعملوا هذه المناورة الحربية في الكتاب المقدس يونان ابن شاول الذي تسلل خفية هو وحامل سلاحه إلى صفوف الفلسطينيين مفاجئاً ومباغتاً إياهم داخل خطوطهم فأحدث بينهم إرتعاداً عظيماً فذابوا وذهبوا متبددين (1صم14: 1-23)، وكذلك الأمم الذين تحالفوا ضد نحميا وبناء السور واففقوا على أن يتسللوا إلى وسط أورشليم ويعملوا بها ضرراً: "وقال أعداؤنا لا يعلمون ولا يبرون حتى ندخل إلى وسطهم ونقتلهم ونوقف العمل" (نح4:11).

الكتاب المقدس وصف أيضاً ببراعة إستخدام عدو الخير لمناورة التسلل في حروبه عندما عبّر عنها بدقة في مثل زوان الحقل قائلاً: "وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى" (مت13:25). فعاد الخير إنتهازي يستغل فرصة إنشغال الإنسان في أمر ما ليتسلل زارعاً في نفسه رذيلة أو سارقاً منه فضيلة فلا يفيق الإنسان إلا على خسائر مضاعفة. فمثلاً قد ينشغل الطالب في المذاكرة والإستعداد للإمتحانات فلما يستفيق يجد العدو وقد زرع فيه آفة القلق فبينما تمضي الإمتحانات يتحول قلقه إلى سمة تضاف إلى شخصيته، وقد يقضي الرجل سنوات طويلة من عمره منشغلاً في جمع المال اللازم لتأمين معيشته ومعيشة أسرته فيستفيق وقد سلبت منه محبته الأولى للصلاة والصوم والخدمة، وقد يحدث أن يضرب عدو الخير الإنسان بسقطة قوية تجعله مترنحاً كالسكران فما أن يستعيد بالكاد توازنه إلا ويجد عدو الخير وقد تسلل من أبواب نفسه الخلفية منتهزاً فرصة انشغاله على الخطوط الأمامية بمصيبته الروحية الفادحة ليزرع في قلبه زوان اليأس والقنوط والإستسلام ويسرق منه التلذذ بمحبة الله وبساطة الإيمان وفرح التسليم. قد يحدث نفس الشيء في الخدمة أيضاً فبينما يكون الراعي أو الخادم منشغلاً أشد الإنشغال بخروفه الضال أو بأصحاب الحالات الخاصة يباغته عدو الخير بالتسلل إلى الحظيرة واختطاف أحد خرافها.

إن كانت هذه إحدى مناورات عدو الخير الحربية فإن النعمة تعمل أيضاً في المقابل بمناورة شبيهة ولكن في الإتجاه العكسي أي إتجاه الفضيلة. فبينما يكون الإنسان منهمكاً على الخطوط الأمامية في توبة حقيقية صادقة منشغلاً بطلب الرحمة والغفران تتسلل النعمة خفية في داخل

القلب لتتزع منه كل قساوة وتراخي وكبرياء وتزرع فيه كل رحمة وحنو ورفق ويقظة وإتضاع. وإذ تمضي سنون الجهاد وينقضي زمان التوبة والصراع مع الله يستفيق الإنسان على ثمار يجنيها دون أن يزرعها فلا يسعه سوى أن يهتف متعجباً: "من ولد لي هؤلاء وأنا تكلى وعافر منفية ومطرودة. هؤلاء من رباهم. هأنذا كنت متروكة وحدي. هؤلاء أين كانوا" (إش 21:48).

الآن أيها المنشغلون على الخطوط الأمامية بإنشغالات، سواء كانت روحية أو رعوية أو دنيوية، إحدروا وانتبهوا للخطوط الخلفية. أطلبوا الروح القدس حارس المدينة وباني البيت لكي يكون هو المتسلل الوحيد إلى قلوبكم وإلى نفوسكم زارعاً فيها ثماره العطرة. حينئذ تترنمون بفرح وابتهاج:

من ولد لي هؤلاء؟...

هؤلاء من رباهم؟....

هؤلاء أين كانوا؟....